

# البُعدُ السياسيُّ في خطبة السيدة الزهراء عليها السلام



الهدف: التعرف على جانب من الأبعاد السياسية في خطبة السيدة الزهراء عليها السلام  
محاور الموضوع:

- تعريف بالخطبة
- هدف الخطبة
- معالم الخطبة الفدكية
- المحور الأول: وإطاعتنا نظاماً للملّة
- المحور الثاني: وإمامتنا أماناً من الفرقة

تصدير الموضوع:

مما ورد في خطبة السيدة الزهراء عليها السلام قولها: ... وإطاعتنا نظاماً للملّة وإمامتنا أماناً للفرقة، والجهد عزّاً للإسلام.

## المحور الأول: وإطاعتنا نظاماً للملّة

فالزهراء عليها السلام بعد افتتاح خطبتها بالحمد والثناء، والإقرار بالتحديد، والشهادة بنبوّة محمد صلى الله عليه وآله ورسالته، ذكرت القوم بأن الله قد اصطفاه واختاره من بين الخلائق لتبليغ رسالته، لتشرع بعد ذلك في شرح معاني التوحيد والإيمان، وأسرار العبادات، لتعود وتذكرهم بأنها ابنة محمد والبقية التي استخلفها، وأن علياً عليه السلام قد أعقب نفسه الزكية في الدفاع عن الإسلام إلى جانب رسول الله صلى الله عليه وآله، لتعلن بصراحة كون طاعة أهل البيت عليهم السلام نظاماً للملّة، وأن إمامتهم أماناً للفرقة أو أماناً من الفرقة كما في بعض المصادر<sup>(١)</sup>.

والمقصود بقولها عليها السلام: أنه بطاعة أهل البيت عليهم السلام نظم الملّة بقانون الإسلام، ولو اهتدت الأمة بعد الرسول صلى الله عليه وآله بهدي الإمامة لما أصيبت بالفرقة والتشتت، وأن في ولاية الأئمة من أهل البيت عليهم السلام أمان للناس من الفرقة والاختلاف، وأن في ولايتهم وخلافتهم عليهم السلام السلم والأمان والطمأنينة.

ومع الإيجاز الذي سلكته الزهراء

وتطوّراته والاشكال التي اتخذها، لا يفهم منه ما يفهم من قضية مطالبة بأرض بل يتجلى له منها مفهوم أوسع من ذلك ينطوي على غرض طموح يبعث الى الثورة ويهدف الى ... تعديل أمة انقلبت على أعقابها..

## معالم الخطبة الفدكية

عندما نتأمل في خطبتها عليها السلام في المسجد النبوي نجد فيها العديد من الدلالات والأبعاد السياسية المستندة على العقيدة الحقّة، منها: أ. التذكير بالتوحيد والبعد العقائدي في رسالة النبي صلى الله عليه وآله.

ب. الشهادة بنبوّة محمد صلى الله عليه وآله ورسالته. ج. إلقاء الحجة على المهاجرين والأنصار في ما فعلوه.

د. بيان أسرار إمامة أهل البيت عليهم السلام وطاعتهم.

هـ. دور علي عليه السلام في إبلاغ الرسالة والدفاع عنها.

و. تأنيبها القوم لما فعلوه بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله.

ولا يمكننا الخوض في تفاصيل كل هذه الموارد هنا، لذا سنكتفي بالإشارة إليها على نحو الإجمال والإيجاز، وننوّف بالتفصيل مع قولها عليها السلام الفصل في هذا المجال: «**وطاعتنا نظاماً للملّة وإمامتنا أماناً من الفرقة**»<sup>(١)</sup>.

## تعريف بالخطبة:

تساؤلات كثيرة تطرأ في البال عند التأمل في مجموعة المواقف التي أطلقتها السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام في خطبتها المسماة «**بالفدكية**»، في مسجد النبي صلى الله عليه وآله. حيث وجهت خطاباً عميقاً بمداليه الدينية والسياسية والتربوية، بحضور الخليفة وجمع كبير من الأنصار والمهاجرين، ووصفت هذه الخطبة بأنها من ذخائر بيت الوحي، ووردت بعدة طرق وأساليب، وبلغت شروحها الخمسين شرحاً بلغات عدة.

## هدف الخطبة

فهل القضية ترتبط بنحلة نحلها رسول الله صلى الله عليه وآله لإبنته عليها السلام، أو بإرث أو حق من الممتلكات الشخصية التي تركها النبي صلى الله عليه وآله ٩، وأجمل ما وجدته في الإجابة عن هذه التساؤلات وغيرها، كلام للشهيد السيد محمد باقر الصدر حيث يقول قدس سره: هذه هي الثورة الفاطمية في لونها العاطفي وهو لون من عدة ألوان أوضحها وأجلها اللون السياسي الغالب على أساليبها وأطوارها.. فالممغن في دراسة خطوات النزاع

(٢) إرجاع: الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، دلائل الإمامة

(١) فدك هبة النبوة، خطبة الزهراء عليها السلام، ص ٢٤٤.



عليه السلام في تبيان معالم هذا المفهوم، إلا أنها قد أبرزته بجانبه التشريعي والتطبيقي، لأن المفهوم السياسي - كما هو معلوم - يجب أن يمتلك الخلفية الفكرية التي تمدّه بالتشريع، والأحكام التي تستند الدولة عليها في فعاليتها، كما أنّ المفهوم السياسي - أيضاً - يمتلك إلى جانب ذلك القوة والسلطة التي تتولّى مهمة التنفيذ لعنصر التشريع.

وقد عبّرت الزهراء عليه السلام عن العنصر الأول - عنصر التشريع - بالفقرة الأولى من عبارتها: «**وطاعتنا نظاماً للملّة**». حيث أعلنت: أنّ في طاعة أهل البيت عليه السلام حفظ الشرع المقدس من كلّ اختلاف أو تصدّع، وسيسير على نسق واحد، بعيداً عن الآراء والظنون المرتجلة التي تبعد الشرع عن حقيقته.

وهنا تبرز عظمة الزهراء عليه السلام حتى في حديثها حيث تقول: «**وطاعتنا**» فهي لم تقل: محبّتنا أو مودّتنا أو حبّنا، وإنما أعطت هذا المفهوم جانبه الثابت غير الخاضع للجدل والتأويل، والزهراء عليه السلام حين تعلن أنّ طاعة أهل البيت عليه السلام على الصّعيد التشريعي أمر فرضه الله سبحانه كما فرض الإيمان والصلاة - إنّما تقرّر بذلك حقيقة منطقيّة ثابتة نطق الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله بها، وأكّدها عشرات المواقف بشهادة كبار الصحابة والتابعين. وقد اتخذ ذلك الطابع الإلزامي الصّارم على لسان الرسول القائد يوم أعلن أمام الألوف المحتشدة - وبعد عودته من حجّة الوداع - إمامة علي عليه السلام بقوله: «**من كنت مولاه، فهذا علي**» بقوله: «**مولاة ...**» وحين يعلن الرسول صلى الله عليه وآله ذلك، فإنه يعلنه بدافع الحرص على المصلحة الإسلامية العليا لكي تبقى هذه الأمّة «**خير أمة أخرجت للناس**»

وهذا ما دفع الزهراء عليه السلام لتعلن بأنّ طاعة أهل البيت «**نظاماً للملّة**». أجل، إنّها حفظ للشرعية، وتنسيق لأحكامها، وصون لها من الظنون والتخمينات والآراء، والتّذهب على حسابها، فلو قدّر لهذه الأمّة أن تسلك درب أهل البيت عليه السلام في معرفة أحكامها واستلهاهم معرفتها، لما وجدنا للتّذهب سبيلاً، ولا للإختلاف في الفتيا والأحكام مجالاً في قاموس حياتنا.

### المحور الثاني: وإمامتنا أماناً من الفرقة

ثم تذكر الزهراء عليه السلام الشّطر الثاني من المفهوم السياسي في الإسلام، فتقول: «**وإمامتنا أماناً من الفرقة**». وإذا كانت الزهراء عليه السلام قد قصدت الجانب التشريعي من المسألة الإدارية لشؤون الأمّة في العبارة الأولى «**وطاعتنا نظاماً للملّة**»، فإنّها ترسم الآن الشقّ الثاني من الموضوع ذاته ويتجلّى في كون إمامة أهل البيت عليه السلام وقيادتهم لهذه الأمّة مفروضاً من الله سبحانه كسائر الواجبات، ولكنّ علّة هذا الفرض الجديد تتجلّى في تخلص الأمّة من شبح التمزق والانقسامات المصلحيّة من خلال التمسك بإمامة أهل البيت عليه السلام وهم معدن الحكمة وخريجو مدرسة الوحي.

وإذا تولّى أهل البيت عليه السلام هذا المقام الرفيع فإنّ أحداً من الناس غير قادر على بلوغ مقامهم الذي بؤأمهم الله سبحانه فيه من معرفة تامة لمعالم الشريعة الإسلامية، أو من عصمة نفسية تحفظهم من كلّ شطط أو خطأ في أحكامهم وقراراتهم ومن كلّ إثم في سلوكهم وفعاليتهم، وإذا كان لأهل البيت عليه السلام هذا المقام الرفيع في الأمّة الإسلامية، أصبح بمقدورهم أن يقودوا الأمّة الإسلامية

الى شاطئ السعادة الذي هيأه الله سبحانه لهذه الأمّة الكريمة.

وهذا ما نفهمه من الروايات العديدة التي وردت في هذا المجال: فأهل البيت هم خلفاء الرسول صلى الله عليه وآله، وأمناءه على الدين من بعده، لأنهم لا يحدّثون إلا بحديثه صلى الله عليه وآله، كما يقول الإمام جعفر الصادق عليه السلام «**حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدي، وحديث جدي حديث الحسين، وحديث الحسين حديث الحسن، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين عليه السلام**» وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله صلى الله عليه وآله<sup>(١)</sup>،

وليس بيانهم للأحكام من نوع رواية السنة وحكايتها ولا من نوع الاجتهاد في الرأي والإستنباط من مصادر التشريع، بل هم أنفسهم مصدر للتشريع، فقولهم سنة لا حكاية السنة، وعليه فالأخذ منهم عليه السلام مباشرة هو أخذ للحكم الواقعي من مصدره الأصلي على سبيل الجزم واليقين، وما جاء في حديث الثقلين - الذي طرح فيه الرسول صلى الله عليه وآله أهل بيته كعدل للقرآن، وأكّد على وجوب التمسك بهم خير دليل على هذا، حيث قال: «**إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيها**»<sup>(٢)</sup>.

وهم ولاة أمر الله تعالى كما ورد في رواية عن الإمام الصادق عليه السلام: «**نحن ولاة أمر الله وخزنة علم الله وعيبة وحي الله**»<sup>(٣)</sup>. وهم عليه السلام ورثة علم الأنبياء كما في العديد من النصوص<sup>(٤)</sup>.

(١) الكليني، أصول الكافي، ج ١، ص ٥٢ ح ١.

(٢) راجع صحيح مسلم ٤ / ١٨٧٣ / ٢٤٠٨.

(٣) المصدر نفسه ١ / ١٩٢ / ١.

(٤) راجع أصول الكافي، ١ / ٢٢٤ / ٢.